اسم الكتاب : هموم فتاة ملتزمة.

اسم الكاتب : فضيلة الشيخ سلمان بن فهد العودة.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

إن الحمد لله، نحمده و نستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

لقد جاءتني رسائل كثيرة تطلب المشاركة في الحديث على قضايا المرأة المسلمة، ورسائل أكثر تقدّم تصورات واجتهادات عما يجب الحديث عنه، أو تشرح بعض الواقع الذي يحتاج إلى دراسة، أو تستحث الخطى؛ لتدارك خلل تَكْبُر رقعته مع الأيام.

فمن ثَمَّ كانت هذه الدروس العديدة التي تعالج موضوعات تتعلق بحياة المرأة المسلمة: أمَّا، هموم فتاة ملتزمة، وهو درس ألقي في يوم الأحد ليلة الاثنين الموافق ٢٥ جمادى الأولى من عام ١٤١٢ هـ. وكلها ضمن "الدروس العلمية العامة".

وهذا الدرس الأخير هو الكتاب الذي بين يديكَ بعد تعديله وتصحيحه بما يناسب الكتاب المقروء.

وأنا مدين بالفضل لله تعالى ، ثم على مشاركات الإخوة الفضلاء، والأخوات الفضليات؛ ممن كاتبوني، و هاتفوني، وساعدوني على معرفة بعض ما يدور في مجتمعات المرأة؛ ومن ثَمَّ تلمس سبل الحل، فلهم جميعًا مني وافر الشكر والدعاء.

معنى الالتزام:

حين نقول: "فتاة ملتزمة"؛ فإننا نعني بها: تلك الفتاة التي آمنت بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمدﷺ نبيًّا ورسولاً، ورضيت بمنهج الله ﷻ وشريعته ودينه دَرْبًا وطريقًا؛ فلم ترضَ بقوانين الشرق أو الغرب ولا تقاليدهما؛ إنما ارتضت أن تكون أسوتها وقدوتها: النسوة المؤمنات الصالحات من أمهات المؤمنين، ونساء الصحابة والتابعين.

فهي ليست تلك الفتاة التي أخذت هذا الدين تقليدًا عن آبائها وأجدادها، وهي تشعر أنه عبء ثقيل تتمنى أن تلقيه عن كاهلها صباحًا أو مساءً، ولا تلك الفتاة التي أخذت من دينها ظاهره فقط، وغفلت عن باطنه وحقيقته؛ فإن الدين كلٌّ لا يتجزأ، مظهر ومخبر، سلوك وعقيدة، فلا ينبغي ولا يجوز للإنسان أن يفرط في شيء من دينه، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة:٨٥].

بين يدي الرسالة:

معظم مادة هذه الرسالة مأخوذة، من رسائل الأخوات، واستفساراتهن، وكتاباتهن: بدءًا بالعنوان، ومرورًا بالموضوعات، حرصت أن يكون كل ذلك مما عملته أيديهن. فليس لي فيه إلا الترتيب والأسلوب والإخراج، أما ما عدا ذلك فمنهن وإليهن.

تقول إحدى الأخوات: "إن الملتزمة بحاجة ماسة إلى من يأخذ بيدها، ويطور لها التزامها، وبالذات مع شعورنا بأن هناك من الواعين من يعتقد أن تحجب الفتاة، وتركها لمشاهدة التلفاز هو النقطة الأخيرة التي تقف عندها، ليتهم يعلمون أن معظم الملتزمات يملكن كل شيء إلا الفكر والفهم السليم".
وإذا كنا نوافق أن كثيرًا من الناس يظنون أن الالتزام ينتهي عند حد الحجاب، وترك مشاهدة التلفاز، مع أن الصواب أن المسلم أو المسلمة لايزالان في جهاد وترقٍّ إلى الموت، تصديقًا لقول الله ﷻ : ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر:٩٩].

فالالتزام ليس مرحلة يتجاوزها الإنسان إلى غيرها، وليس قضية ينتهي عندها المرء ؛ بل إن الالتزام هو محاولة مستمرة تظل مع الفتى ومع الفتاة إلى الممات، حتى في ساعة الموت يجاهد الإنسان نفسه، ويعبد ربه،ومادام أن الروح في الجسد، ومادام أن النَّفَسَ يتردد؛ فأمام الإنسان ألوان وألوان من المجاهدات و المصابرات والمدافعات؛ يحتاج الرجل إليها، وتحتاج المرأة إليها.
ولكننا لا نوافق تلك الأخت، على أن معظم الملتزمات يملكن كل شيء إلا الفكر والفهم السليم، فإن كثيرًا من الأخوات الملتزمات يملكن -بحمد الله- قدرًا جيدًا من الفهم السليم، ويملكن عقولاً ناضجة، ويملكن مواهب قوية، نسأل الله لنا ولهن جميعًا الثبات.

المرأة والالتزام :

المرأة بطبيعتها أكثر تأثرًا بالخير والشر، وأشد تأثرًا بما يحيط بها من الرجل؛ ولذلك تزداد خطورة وأهمية تلك الأجهزة العامة المسماة بأجهزة الإعلام. ففي حين تغدو تلك الأجهزة صالحة نقية هادفة؛ فإنها تؤثر على سلوك المرأة، وتفكيرها، وأخلاقها، وتطبعها بالطابع الخيِّر.
وحين يصبح الأمر على النقيض، وتتحول تلك الأجهزة إلى أدوات للتلبيس والتضليل، وقول الزور، وشهادة الزور، وتأخذ على عاتقها مهمة تغيير عقليات الناس وأخلاقهم نحو الأسوأ، يكون للمرأة في ذلك أوفر النصيب، خاصة مع بقاء المرأة في المنزل، ووجود الفراغ الذي تعيشه في أحيان كثيرة، وفي مجتمعات كثيرة.
إن المرأة تعتكف عند هذا الجهاز، وتتناول منه ثقافتها وعلمها وأخلاقها، و تستهديه في مواقفها وتصرفاتها؛ بل وتأخذ منه حتى معلوماتها عن دينها، من خلال البرامج الدينية التي تقدَّم هنا أو هناك.
إن من الواجب الدعوي: أن تُستخدم الوسائل العلنية والإعلامية في الدعوة إلى الله، وفي مخاطبة المجتمع ؛ فالبرنامج الإذاعي المسموع، أو الإعلامي المرئي، أو الصحفي المقروء، والشريط، والكتاب، والكتيب، والمحاضرة المتخصصة، وإيصال تلك الوسائل إلى كل مكان توجد فيه المرأة: في المدرسة، والجامعة، والسوق، وأماكن التجمعات العامة.

الدور السلبي :

أعتقد أن زمن الشكوى المجردة قد انتهى أو كاد، ودور الخيِّرين والخيِّرات لا يجوز أن يتوقف عند مجرد رفع الشكاوى لهذه الجهة أو تلك، فهذا- بمجرده- عمل سلبي لا يثمر كثيرًا.

إن هذا الدور الذي يقف عند مجرد الشكوى فقط قد انتهى أو كاد ينتهي؛ وذلك لأسباب، أهمها:

أولا: تراخي المجتمع:

لو كان هناك إصرار من المجتمع على منع رياح التغيير والفساد؛ لأحكم غلق النوافذ، مع إيماننا بأن غلق النوافذ ليست جدواه اليوم كما كانت بالأمس. والصغار يتلمسون مواقف الكبار، وردود فعلهم، ومدى حزمهم أو تساهلهم؛ ولذلك يقال: إذا أردت أن تعرف مدى حزم مجتمع ما؛ فانظر في سلوك البقالين ونحوهم؛ فإنهم مرآة لغيرهم.
فإذا صارت بينك وبين البقال مشاجرة، فقلت له: افعل كذا وإلا رفعت أمرك إلى مدير الشرطة، أو المحافظ، أو الرئيس، فإن وجدته قد ارتبك واضطرب وخاف؛ فهذا دليل القوة والعدل، وأن سيف الحق صارم، أما إذا قال لك: ارفع لمن شئت، وافعل ما شئت، وأمامك هيئة الأمم المتحدة، وأمامك و أمامك... فهذا دليل التراخي.

ثانيًا: دور الأفراد في التغيير:

وهذا لا يمكن إهماله بحال من الأحوال، فكلنا لاحظ ما قامت به الجموع ـ المؤلفة من أفراد ـ من هدم لبنيان الشيوعية، والإتيان على جنباتها من القواعد. إذ إن المجتمع منقسم إلى فريقين ولابد، وهذه حقيقة قرآنية: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ [النمل:٤٥] والانقسام إلى حق وباطل، وبر وفاجر، ومؤمن وكافر ، أمر لا خيار فيه، ولا حلّ له. وحتى ذلك المجتمع الإسلامي الفريد، الذي كان يقف على رأس السلطة فيه؛ محمد بن عبد الله ﷺ كان فيه المنافقون المتظاهرون بالإسلام، المنطوية صدورهم على الكفر البواح الصراح.
إن هذا لا يسمى تفريقًا للمجتمع، أو تمزيقًا لوحدته؛ بل هو تسمية للأمور بأسمائها الحقيقية، ووضع الشيء في نصابه. وإذا كان الأمر كذلك فيجب أن يمارس الخيِّرون كافة الوسائل؛ لتحقيق قناعاتهم الشرعية.

والشكوى وسيلة لا يمكن التهوين من شأنها، ولكنها من أضعف الوسائل، خاصة إذا لم يكن معها غيرها، لكن يستطيع الأخيار أن يؤدوا دورهم، ويتحملوا مسؤوليتهم كغيرهم.

ثالثًا: ارتباط الناس بالمؤسسات القائمة:

لم يعد مقبولاً ذلك الاحتجاج الذي نسمعه في أكثر من موقع من الخريطة الإسلامية، والذي يتجاهل الواقع كثيرًا.
لم يعد من الممكن أن يقال للناس: أغلقوا الجامعات، أغلقوا المستشفيات، أغلقوا المؤسسات النسائية أو غير النسائية.
هذا غير ممكن، وهو أيضًا غير مطلوب، فلابدّ للناس من العلاج، ومن الدراسة، ومن التجارة ومن ، ومن.
إنها مؤسسات ارتبطت بحياة الناس، وارتبطت بها حياتهم؛ فلم يبق إلا أن يرسم لها الإطار الشرعي الصحيح، و الشرع جاء بضبط كل شيء ولم يبق إلا أن تنبري النسوة الفاضلات في كل بلاد الإسلام لتولي هذه الأعمال، وإدارتها، وإصلاحها، أو على أردأ الأحوال: المشاركة فيها، ومزاحمة الاتجاهات غير المهتدية، والتي بسطت نفوذها على كثير من المؤسسات، والهيئات، والجمعيات في بلاد إسلامية كثيرة، على تفاوت في ذلك بين بلد وآخر، والله المستعان.

أيها الأحبة أيتها الأخوات :

في وقت ما، كانت رموز الوطنية والتحرر والثقافة تتمثل في قيادات نسائية فرضتها أجهزة الإعلام، وطبّلت لها الصحافة، أمثال: "هدى شعراوي "، و"أمينة السعيد"، و "نوال السعداوي"، وهذه القائمة المعروفة هي التي كانت توصف بالريادة في هذا المجال العفن.
أما في بلاد الجزيرة بالذات، فلا تزال المستغربات في العقل والشعور موضع ازدراء وسخرية من المجتمع - بحمد الله تعالى-، وللأسف فهن يكتبن في صحافتنا بكل تأكيد، ولكن على استحياء، وبشيء من الغموض.
فإذا أرادت إحداهنَّ نقد الدين؛ عبرت عنه بالطقوس، والتقاليد البالية، والسراب، ومخلفات القرون السابقة، ولكنها لا تستطيع أن تتكلَّم عن الدين هكذا صراحًا بواحًا.
وإذا أرادت نقد العلماء والدعاة؛ عبّرت عنهم بالمتطرفين والأصوليين، وأصحاب العنف وضيق الأفق.
وهنا تبرز مسؤولية القادرات من أخواتنا وبناتنا، في وجوب وجود قيادات نسائية معروفة على كافة المستويات. فلابد أن يوجد قيادات: في المدرسة، وفي نظام التعليم، وعلى مستوى الدولة؛ بل وعلى مستوى الإقليم.
وهذا وإن كان واجبًا في كل بلاد الإسلام؛ إلا أنه في هذه البلاد أيسر وأسهل، فلا يزال الميدان مكشوفًا مفتوحًا لمن أراد.
وبعض الإخوة يَعْتِبون عليَّ، ويقولون: لماذا تحرض النساء على الاستمرار في الدراسة، أو على مواصلة العمل، وخاصة من المتدينات؟
فأقول: إننا في مجتمع لا نتفرد بصياغته وصناعته؛ بل هو مجتمع فيه صناع كثيرون، وذوو عقول شتى، ومذاهب مختلفة، وآراء متباينة؛ بل ونظريات واتجاهات من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار؛ فإذا توقفت الملتزمة عند حد معين فغيرها لا يتوقف. ومعنى ذلك أننا حين ننصح المتدينات بترك الدراسة ، أو ترك مجالات العمل والتأثير؛ فإننا سمحنا لكل الفئات، وكل الطبقات، وكل الاتجاهات - التي لا تسمع لنا أصلاً- سمحنا لها بأن تنمو وتتوغل وتتغلغل في المجتمع، ووضعنا سدًّا منيعًا أمام العنصر الذي يمكن أن يساهم بشكل جيد في ضبط المسيرة، أو يساهم في تحجيم الشر والفساد، ولا أعتقد أن ثمة خدمة يمكن أن نقدمها للعلمانيين، أو لأصحاب النوايا السيئة وصرعى الشهوات أعظم من هذه الخدمة.
إن من الخطأ الكبير أن تترك أماكن التجمعات النسائية، فتخلو الجامعات بكلياتها، ومعاهدها، وندواتها، وأعمالها من الملتزمة، التي ترفع راية الدين، وتأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر.
إن أقل ما يمكن أن تقوم به تلك الملتزمة هو: أن تشعر المجتمع بما يجري داخل تلك المجتمعات النسائية، وما يكون وراء الكواليس، وخلف الستار.
إنَّ العلماء والدعاة أحوج ما يكونون إلى من ينقل لهم ما يجري في أوساط النساء، وهذا أقل ما يمكن أن تقوم به الفتاة الملتزمة أثناء وجودها في هذه المجتمعات.

من صفات المرأة الداعية :

إذا كنّا نتحدث عن الفتاة الملتزمة؛ فإنني لا أكاد أتصور فتاة أو رجلاً ملتزمًا يمكن أن يكون غير داع لأن من الالتزام أن يدعو الإنسان.
ومعنى كون المرأة ملتزمة؛ أنها مطيعة لربها، والله ﷻ يقول: ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾ [التوبة:٧١].

فأمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر؛ جزء من التزامها، وقيامها بالدعوة جزء من التزامها؛ لأن الله ﷻ يقول: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وقد أثبتت التجارب والأحداث الكثيرة، أن هذه الأمة لديها قدرة على قبول الحق؛ بل لديها رغبة في إيجاد الحق والتزامه، فلا عبرة بقول إنسان إنه ملتزم لكنه غير داعية، لا يمكن هذا؛ لأن الملتزم هو داعية إلى الله؛ إذ إنّ التزامه يعني أنه مطيع لله، والذي أمره بالصلاة هو الذي أمره بالدعوة، وهو الذي أمره بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يمكن أن نفرق بين هذا وذاك بحال من الأحوال، وينبغي أن نعلم بأن كل صفة نتصورها من الرجل الداعي؛ يجب أن تكون أيضًا في المرأة الداعية.

وسوف نتناول بعض الصفات المهمة التي تطلب من الفتاة والمرأة الداعية، كما هي مطلوبة أيضًا من الرجل الداعي:

الصفة الأولى: العلم بما تدعو إليه:

يجب على المرأة الداعية أن تدعو إلى الله على بصيرة وعلى علم، فلا يمكن أن تدعو إلى شيء وهي لا تعلم هل هو من الشرع أم لا، هل هو من العبادات، أم من العادات، هل هو من الأمور الدينية، أم من التقاليد الاجتماعية الموروثة؟

والشرع واضح بحمد الله: إما آية محكمة، أو سنة ماضية، أو إجماع قائم، أو قول معروف مبني على اجتهاد صحيح واضح كالشمس. فلابد أن تعرف المرأة المسلمة الأمر الذي تدعو إليه بدليله، بحيث إذا قال لها أحد: ما الدليل؟ أو لماذا؟ استطاعت أن تجيبه عن ذلك.

الصفة الثانية: القدوة الحسنة:

قال الله ﷻ على لسان نبيه شعيب عليه السلام: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود:٨٨]، وفي صحيح البخاري عن أسامة بن زيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: [يؤتى بالرجل يوم القيامة فيُلقى في النار، فتنْدَلِق أقتاب بطنه، فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى، فيجتمع إليه أهل النار، فيقولون: يا فلان، ما لك، ألم تكن تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى، قد كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه].

إذاً من الخطورة بمكان، أن يتكلم الإنسان بلسانه، ويكذب ذلك بأفعاله.

فالتربية والدعوة بالسلوك أحيانًا أفضل من ألف محاضرة، وألف خطبة.

سلوك امرأة بين زميلاتها: في حسن خلقها وآدابها، ومظهرها ومخبرها، وطيب حديثها، والتزامها بشريعة ربها، وصلاحها؛ أعتقد أنه أفضل من كثير من الكلمات والمحاضرات.

كثير من الفتيات يقلن: "ليست عندي رغبة في سماع الأشرطة الدينية"؛ لكن لو وجدت أمامها نموذجًا حيًّا، صورة حية من فتاة ملتزمة، متدينة فأعجبتها؛ أعتقد أنها هنا ليست في حاجة إلى أن تسمع شريطًا أو لا تسمع؛ لأن هذا سيكون بداية موفقة لإقناعها بسلوك الطريق المستقيم، فالحق واضح ميسَّر ليس في معرفته صعوبة ولا عناء.

الصفة الثالثة: حسن الخلق والتواضع ولين الجانب:

ومن الصفات التي ينبغي أن تتصف بها الداعية: حسن الخلق، والتواضع، ولين الجانب؛ مما يحبب إليها الأخريات. ولعل غرس المحبة في نفوس المدعوات هو أول سبب لقبول الدعوة في حالات كثيرة، والأسلوب شديد التأثير في قبول الدعوة أو ردها، ولا يجوز لنا أبدًا أن نتجنى على الحق الذي نحمله حين نقدمه للناس بالأسلوب الغليظ الجاف؛ بل يجب أن نعطف على الآخرين، ونحتوي مشاعرهم، ونتلمس همومهم، ونشاطرهم أفراحهم وأتراحهم، ولا نستعلي عليهم أو نستكبر؛ فما تواضع أحد لله تعالى إلا رفعه.
وقد مدح الله رسوله ﷺ بقوله: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ [القلم:٤] وقال: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. فإذا كان هذا شأن أصحاب محمد ﷺ ؛ فكيف بغيرهم من سائر الناس؟

الصفة الرابعة : الاهتمام بالمظهر الخارجي:

ومن الصفات التي ينبغي أن تتحلَّى بها الأخت الداعية أيضًا: أن يكون عندها قدرٌ من الاهتمام بمظهرها.
أقول هذا لأنه قد يظن البعض أنني أدعو المرأة المتدينة الداعية أن تكون متبذلة، بعيدة عن الاهتمام بمظهرها.. كلا، فالمظهر هو البوابة الرئيسة التي لابد من عبورها إلى قلوب الأخريات.
ومن الطبيعي أن تتحلى المرأة، أو تبحث عن الثوب الجميل، والله ﷻ قال: ﴿أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الزخرف: ١٨]. فكون الفتاة تنشأ منذ طفولتها في الحلية هذا أمر طبعي، لا تلام عليه.

من الطبيعي أيضًا: أن تهتم المرأة بتسريح شعرها، والرسول ﷺ أوصى بذلك الرجل، فقد كان رسول الله ﷺ في المسجد، فدخل رجل ثائر الرأس واللحية، فأشار إليه رسول اللهﷺ بيده: أن اخرج، كأنه يعني إصلاح شعر رأسه ولحيته، ففعل الرجل ثم رجع، فقال رسول اللهﷺ: [أليس هذا خيرًا من أن يأتي أحدكم ثائر الرأس كأنه شيطان]، فالمرأة مع بنات جنسها، من باب أولى يجب أن تعتني بمظهرها.

ونحن بطبيعة الحال، لا نقبل أبدًا أن تتبرج المرأة بزينة، ولا أن تتطيب لخروجها من بيتها، لكن هذا لا يعني بحالٍ التبذل، أو أن تذهب إلى المجتمعات النسائية في أثواب مهنتها، خاصة عندما تكون داعية يشار إليها بالبنان. فمن خلال ما وصل إليَّ من عدد كبير من الإخوة والأخوات تبين لي أن كثيرًا من الفتيات ، يعرضن عن الدعوة؛ لأنهن يتصورن أن الالتزام، وحضور الحلق في المسجد، أو سماع الشريط، يعني أن الفتاة سوف تتخلى عن كل مظهر من مظاهر اهتمامها بنفسها، وهي لا تريد ذلك، وتقول: كل شيء إلا اهتمامي بمظهري.
ومن قال: إنّ الإسلام يحول بينها وبين ذلك في حدود ما أباحه الله تعالى؟ ثوب نظيف، لا تظهر به أمام الرجال.

الصفة الخامسة: الاعتدال:

من الصفات التي يجب أن تتحلى بها الداعية: الاعتدال في كل شيء. ومن الاعتدال: الاعتدال في المشاعر، بين الإفراط والتفريط.

فنحن نجد أن بعض الأخوات تكون جافة في عواطفها ومشاعرها تجاه الأخريات: لا تتجاوب معهنَّ، ولا تبادلهن شعورًا بشعور، وودًّا بود، ومحبة بمحبة، ولا تبتسم في وجوههنَّ، وترى أن جديَّة الدين، وجدية الدعوة، تتطلب قدرًا من الصرامة، والوضوح، والقسمات الحادة، وهذا أمر غير مقبول. يقول الرسولﷺ:[وتبسمك في وجه أخيك صدقة]، ونقول للمرأة أيضًا: تبسمك في وجه أختك صدقة؛ فالحكم عام.

بالمقابل هناك من النساء ومن الأخوات، من تبالغ في إغراق الأخريات بمشاعر تصل أحيانًا إلى حد الإفراط، فتجد أن من الأخوات من لا تصبر عن فلانة ساعة من نهار، فإذا ذهبت إلى بيتها بدأت تتصل بها بالهاتف، وتكلمها الساعات الطوال، وربما خلت بها أوقاتًا طويلة، تبث إحداهنَّ إلى الأخرى مشاعرها، وهمومها، وشجونها؛ بل ربما تغار لو رأت أخرى تجالسها أو تحادثها؛ لأنها تريدها لنفسها فقط.
وهذا ما يسمى بالإعجاب في أوساط البنات، فضلاً عن قضية المحاكاة والتقليد، أي أنها تقلدها في كل شيء: في حركاتها وسكناتها، في طريقة كلامها، في لباسها، في حذائها، في حركة يدها، في كل شيء من أمورها.
ولاشك أن ذوبان شخصية البنت في أخرى - ولو كانت داعية- ضياع لتلك الشخصية؛ لأن اللهﷻ خاطب كل إنسان بمفرده: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ [مريم :٩٣-٩٥].
فينبغي أن تشعر المسلمة باستقلاليتها، ولا يجوز أن تذوب في شخصية أخرى. فلتكن لها استقلاليتها، ولها مسئوليتها بذاتها، ولتعلم أنها واقفة بين يدي الله تعالى يوم القيامة بذاتها وبمفردها؛ فليس يجوز بحال أن تجعل المسلمة هدايتها منوطة بفلانة: إن استقامت استقامت معها، وإن اعوجت اعوجّت على إثرها؛ بل لتوطن نفسها على الاستقلالية، واختيار طريقها بنفسها، إن استقام الناس استقامت، وإن اعوجّوا اجتنبت إساءتهم، وعملت على هدايتهم ودعوتهم.
إنّ الصفات التي يجب أن تتحلى بها الفتاة الداعية كثيرة، وما سبق لا يعدو إلا أن يكون شيئًا يسيرًا مما يجب أن يقال.

من مشكلات الدعوة النسائية :

المشكلة الأولى: قلة عدد النساء الداعيات:

وهذه القلة يعاني منها الكثيرون؛ ولذلك نجد هناك جهلاً كبيرًا في أوساط الفتيات، حتى في عالم المدن، فضلاً عن القرى والأرياف، والمناطق النائية.

حلول هذه المشكلة:

الحل الأول : أن تحرص الأخت المسلمة على مشاركة جميع النساء في الدعوة إلى اللهﷻ، حتى مع وجود شيء من التقصير. وينبغي أن نضع في أذهان النساء والرجال أنه لا يشترط في الداعية أن تكون كاملة؛ فالكمال في البشر عزيز، وما من إنسان إلا وفيه نقص، لكن هذا النقص لا يمكن أن يحول بين ذلك الإنسان، وبين قيامه بواجب الدعوة إلى الله تعالى، فأنت تدعو إلى ما عملت؛ بل حتى مالم تعمل به، تدعو إليه بطريقتك الخاصة.

فالإنسان المقصر ، يمكن أن يبين للناس أن تلك الأخطاء التي وقع فيها ندم عليها، واستغفر الله منها، ثم يدعوهم لأن يكونوا أقوى منه عزيمة، وأصلب إرادة، وأصدق إيمانًا، وأخلص للهﷻ؛

حتى ينجحوا فيما فشل فيه هو. وبذلك يكون هذا الإنسان المقصر، قد دلَّ على الخير، وله بذلك أجر فاعله.

فوقوع الإنسان في المعصية، لا يسوغ له ترك النهي عنها أبدًا؛ بل ينهى عن المعصية ولو كان واقعًا فيها، ويأمر بالمعروف ولو كان تاركًا له، وإن كان الأكمل والأفضل و الأدعى للاقتفاء سيرة الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود : ٨٨] .

إذًا حتى مع التقصير، يجب أن تجر الأخت الداعية الأخريات إلى المشاركة، فمثلاً بعض الطالبات في المدارس: يمكن أن تشارك الطالبة في إلقاء كلمة، في توجيه، في إعداد بحث مصغر، في أمور معينة، تحدّث فيها بنات جنسها، من خلال حلقة المسجد، أو من خلال الدرس، أو أي مناسبة أخرى، مع مراعاة تعهد هذه الفتاة بالتوجيه والنصح؛ فكونها قامت، وتكلمت، أو ألقت محاضرة، أو كلمة أو أعدَّت بحثًا؛ لا يعني ذلك أنها جاوزت القنطرة، وأصبحت داعية، لا يوجه إليها أي طلب؛ بل هي الأخرى أحوج ما تكون إلى من يقوِّم سيرتها، وينصحها بإتباع القول بالعمل، ويحذرها من الاغترار والعجب، ويدعوها إلى مواصلة الطريق، والتزود من العلم النافع، والعمل الصالح.

<u>الحل الثاني: الاتجاه نحو الجهود العامة:</u>

بعض النساء تجعل في بيتها جلسة خاصة، أو درسًا خاصًّا، لخمس نسوة فقط من جيرانها، فلو أنها أقامت محاضرة، أو درسًا عامًّا، أو أمسية؛ لكان من الممكن أن يشمل مئات النساء، فيكون هذا الجهد المحدود الذي صرفته إلى خمس، كان من الممكن أن تصرفه إلى خمسين أو إلى خمسمائة امرأة.
بطبيعة الحال، نحن لا نقلل من أهميّة الدروس والجلسات الخاصة؛ فهذه الدروس والجلسات الخاصة لها أهميتها فهي:

أولاً: تخاطب فئة من المجتمع.
ثانيًا: ربما توجد امرأة تكون قادرة على أن تقيم جلسة خاصة لخمس نسوة فقط؛ لكن لا تستطيع أن تقيم محاضرة، أو درسًا عامًّا.
ثالثًا: أن الجلسة الخاصة التي تضم خمس نساء أو عشر، يمكن التحكم في وقتها وفي مكانها، وهذا كله يسهل إمكانية قيامها ونجاحها والانتفاع بها أيما انتفاع.

ولكن مع ذلك فقيام المرأة بنشاط عام: كمحاضرة، أو درس عام، أو ندوة يكون أبلغ في التأثير، وأوسع في المنطقة التي تخاطبها. وبمعنى آخر فالمجلس الخاص قد يكون أقوى في الامتداد الرأسي، والمجالس العامة أقوى في الامتداد الأفقي، أي أنه يشمل التأثير على عدد أكبر، وفي كلٍ خير.

<u>الحل الثالث: التركيز على إعداد جيل من الداعيات ممن يحملن همّ الإسلام، وتنمية معاني الدعوة لديهن:</u>

قد تكون زوجتك -مثلاً- تصلح لهذا، فلا يجوز أن يكون زواجها نهاية المطاف، أختك، قريبتك، بنت أختك، ذات محرمك؛ ينبغي أن تحرص على إعدادها لتكون داعية إلى الله تعالى. وكذلك

النساء الداعيات من المدرسات، ينبغي أن يعتنين بإعداد نوعيات من الفتيات، وتهيئتهن وتأهيلهن للقيام بهذه المهمة الصعبة؛ لأن واحدة من النساء يمكن أن تقوم عن عشر.

الحل الرابع: الاستفادة من النشاطات الرجالية:

فلماذا نتصور أن نشاط المرأة ينبغي أن يكون محصورًا؟ فالنشاطات الرجالية: كالدروس، والمحاضرات، والندوات معظم الكلام الذي يقال فيها يصلح للرجال ويصلح للنساء أيضًا، والشرع جاء للرجل والمرأة، وخاطب الجنسين معًا، وما ثبت للرجل ثبت للمرأة إلا بدليل.
ولا يلزم أن تكون المرأة مجتمعًا مستقلاً متكاملاً، فقيهتها منها، وواعظتها منها، ومفتيتها منها، هذا ليس بلازم، والرسل عليهم السلام كانوا رجالاً فقط، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧].
هؤلاء الرجال كانوا يخاطبون الرجال، ويخاطبون النساء؛ بل ويدعون الإنس والجن معًا. إذًا لا مانع أن تنضم النساء إلى مواكب المستمعين إلى الدروس والمحاضرات و المجهودات الرجالية، بطبيعة الحال على انفراد، ومع التزامهنَّ بأوامر الشرع: بعدم التطيب إذا أرادت الخروج، وعدم لبس الثوب الذي يكون زينة في نفسه، وعدم الجهر بالقول، والاختلاط بالرجال إلى غير ذلك؛ لأنها تستفيد من ذلك في مجالاتها الخاصة المنعزلة.

المشكلة الثانية: صعوبة التوفيق بين العمل والدعوة والشؤون المنزلية:

وهذه معضلة حقيقية، فالمرأة أمامها العمل، وأمامها الدعوة، وأمامها الأمور المنزلية: البيت، الزوج، الأولاد، إلى غير ذلك، ولعلي لا أتجاوز الحقيقية إذا قلت: إنها أكبر مشكلة تواجه الداعيات، وعلى عتبتها تتحطم الكثير من الآمال والطموحات. فكم من فتاة تشتعل في قلبها جذوة الحماس إلى الدعوة إلى الله ﷻ ، وتعيش في مخيلتها الكثير من الأحلام والأمنيات، فإذا تزوجت وواجهت الحياة العملية؛ تبخَّرت تلك الآمال، وذابت تلك المشاعر، ولم تعد تملك منها إلا الحسرات والأنات، والآهات والزفرات، والذكريات، حتى أصبح كثير من الفتيات الآن لا يملكن إلا أن يقلن: كنت أفعل كذا، وكنت أفعل كذا، لكنهن لا يستطعن بحال أن يقلن: نحن نفعل الآن كذا وكذا.

حلول هذه المشكلة :

الإضاءة الأولى: تقوى الله ﷻ:

إن أول إضاءة في هذا الطريق هي قول الله ﷻ: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٢، ٣].
فالتقوى هي أول حل: أن يتقي العبد ربه، وتتقي الأمة ربها جل وعلا في نفسها، وفي وقتها، وفي زوجها، وفي عملها، وفي مسئوليتها.

الإضاءة الثانية: تنظيم الوقت وترتيب الأولويات:

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، وقال النبي ﷺ فيما رواه الشيخان لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما:[فإن لجسدك عليك حقًّا، وإن لعينك عليك حقًّا، وإن لِزَوْرك عليك حقًّا، وإن لزوجك عليك حقًّا]، وفي قصة سلمان مع أبي الدرداء رضي الله عنهما، قال سلمان له:[إن لربك عليك حقًّا، ولنفسك عليك حقًّا، ولأهلك عليك حقًّا، فأعط كل ذي حق حقه، فأتى أبو الدرداء النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال النبيﷺ: صدق سلمان] .

وقوله: [فأعط كل ذى حقٍ حقه] يدل على أن سوء التوزيع يكون سببًا في ضياع الثروة.
وإذا كانت أغلى ثروة تملكها هي الوقت؛ فإن سوء توزيع الوقت من أسباب الضياع الذي يعيشه كثير من المسلمين، ولو أن المرأة أفلحت في ضبط وقتها وتوزيعه بطريقة معتدلة؛ لكسبت شيئًا كثيرًا.
فبعض الزوجات الداعيات -مثلاً- تشتكي أن زوجها الملتزم لا يعطيها من وقته ما يكفيها، فأقول: ليس أولئك بخياركم، إن من يقصرون في حقوق بيوتهم، ولا يعطون زوجاتهم ما يكفيهن من الوقت، وقد يعود أحدهم إلى بيته متأخرًا، ولا يأوي إلى البيت إلا وهو متعب، أو قلق، أو متضايق، فهو لا يريد أن ينظر إلى زوجته، ولا أن يجلس معها؛ إنما يريد أن يأوي إلى الفراش، أو ينام؛ ليخلو من همومه فهؤلاء ليسوا من الخيار.

و ليس من العدل أن تهمل المرأة زوجها وبيتها وأولادها بحجة أنها مشغولة بالدعوة، كما أنه ليس من العدل أن يهمل الرجل بيته وزوجه وأولاده، بحجة أنه مشغول بالدعوة، وليس من العدل أن تغفل المرأة الداعية عن عملها الوظيفي الذي تتقاضى عليه مرتبًا من الأمة، أو تغفل عن عملها الدعوي الذي هي فيه على ثغرة من ثغور الإسلام، يُخشى أن يؤتى الإسلام من قبلها، فإذا ضاقت عليها الأوقات، فبإمكانها أن تسند بعض المهمات إلى أخريات يتحملن معها المسؤولية، وتقوم هي بدور التوجيه والإشراف، فيمكن أن يساعدها أحد في القيام على شؤون الأطفال، خاصة ممن يوثق بعلمها ودينها وخلقها، ويمكن أن يساعدها أحد في ترتيب بيتها، ويمكن أن يساعدها أحد في مهمتها الدعوية أيضًا؛ فيكون ذلك تدريباً لهؤلاء على أمور كثيرة، يستفاد منها فيما بعد.

<u>الإضاءة الثالثة: مجالات الدعوة تشمل كل مناحي الحياة:</u>

وهذه الإضاءة مستمدة من قولهﷺ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لا شريك له وبذلك أُمرت وأنا أول المسلمين﴾ [الأنعام:١٦١-١٦٢] .
و في الحديث المتفق عليه عن أبي هريرةﷺ: يقول النبيﷺ:[كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس، قال: تعدل بين الاثنين صدقة، وتعين الرجل في دابته: فتحمله عليها، أو ترفع له عليها متاعه صدقة، قال: والكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة]. إذًا الصدقات كثيرة جدًّا، فعمل المرأة ودعوتها يمكن أن يكون لزوجها، سواء كان زوجها ملتزمًا، أو عاديًّا، أو منحرفًا.
إنّ قيام فتاة بتأمين الجبهة الداخلية لداعية، بمعنى أنها تقف وراءه، وتحفظه في نفسها، وفي ماله، وولده، وتسدّ هذه الثغرة الخطيرة التي يمكن أن تشغله عن دعوته، أو على الأقل تجعله ينطلق في دعوته وهو يشعر أنه مشدود إلى الوراء، وأن همّ البيت يقيده ويخايله أبدًا، إن ذلك جزء من مهمتها، ومن دعوتها.
وإن قيامها بتحويل زوجها من إنسان عادي همه الدنيا، إلى إنسان داعية يشتعل في قلبه هم الإسلام، هذه دعوة، أو حتى قيامها بدعوة زوجها، من زوج منحرف ضال، مقصر في الصلاة،

أو مرتكب للحرام، إلى إنسان صالح مستقيم؛ هذا جزء من الدعوة، ويمكن أن يكون لها في ذلك أثر كبير.
كما أنّ تربية أولادها على الخير، وتنشئتهم على الفضيلة هو جزء من دعوتها ومسؤوليتها، ونحن نعرف جميعًا ما هي الأجواء التي تربى فيها عبد الله بن عمر، أو عبد الله بن الزبير، أو عبد الله بن عمرو بن العاص، أو غيرهم من شباب الصحابة، وأي نساء قمن بتربيتهم.

الإضاءة الرابعة : عمل الداعية في بيتها:

أولاً: أن توفر المرأة مكتبة صغيرة للقراءة تضم مجموعة من الكتب الصغيرة المناسبة.
ثانيًا: توفير مكتبة صوتية، تحتوي على عدد طيب من الأشرطة الإسلامية المفيدة.
ثالثًا: عقد حلقة أسبوعية لأهل البيت، درس أسبوعي لأهل البيت، تجتمع فيه النساء الكبار والصغار، ويتلقون فيه أشياء يسيرة.
رابعًا: تحسين العلاقة مع كافة أفراد المنزل؛ تمهيدًا لدعوتهم إلى الله، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر.
خامسًا: مراعاة كبار السن وذلك بأمور منها:
أن تتلطف المرأة الداعية مع هؤلاء النسوة بالدعوة.
ومن الوسائل المجربة المفيدة: أن تبحث الفتاة عن كتاب يكون فيه كلمة لأحد العلماء المعروفين، فيها تحذير من الغيبة أو النميمة، أو ذلك المنْكَر الموجود لديهن، أو فيها بيان الحكم الشرعي الذي أخطأت فيه تلك المرأة، ثم تأتي الفتاة وتقرأ على هؤلاء النسوة هذه الفتوى أو الكلمة، حينئذ لا تملك المرأة الكبيرة أن تقول: هذا دين جديد، أو أنتم كل شيء غيرتموه؛ بل ستقبل الكلام؛ لأنها تعلم أن الرجل له ثقله، وله قدره، وله وزنه.

عقبات في طريق الدعوة :

أولاً: عقبات نفسية:

الشعور بالتقصير:

إن كثيرًا من الأخوات الداعيات تشعر بأنها ليست على مستوى المسؤولية التي ألقيت عليها، وهذه في الحقيقة مكرمة وليست عقبة.
إن المشكلة تكون إذا شعرت الفتاة بكمالها أو أهليتها التامة، ومعنى ذلك أنها لن تسعى إلى تكميل نفسها، أو تلافي عيبها، ولن تقبل النصيحة من الآخرين؛ لأنها ترى في نفسها الكفاية، أما شعورها بالنقص أو التقصير، فهو مدعاة إلى أن تستفيد مما عند الآخرين، وأن تقبل النصيحة.
فكلما زاد فضل الإنسان، زاد شعوره بالنقص، وكلما زاد جهله وبعده، زاد شعوره بالكمال.
وباختصار فإنه ما دامت الروح في الجسد، فلن يكمل الإنسان، وكلما شعرنا بالتقصير وهضم النفس، كان أقرب إلى الله تعالى، وأبعد عن الكبر والغرور.

التخوف والإحجام والتهيب من الدعوة والكلام أمام الأخريات:

وهذا لا يمكن أن يزول إلا بالتجربة والممارسة، ففي البداية: من الممكن أن تتكلم الفتاة وسط مجموعة قليلة، أن تلقي حديثًا مفيدًا ، ثم مع مجموعة أكثر، ثم تشارك في المسجد، والدروس التي

تقام في المدرسة، ثم تبدأ بعد ذلك في إعداد بعض العناصر، ثم بعد ذلك يمكنها أن تلقي كلمة بطريقة الارتجال، ولابد من التدرج، وإلا ستظل المرأة، وسيظل الرجل يقول: لا أستطيع.

ثانيًا : عقبات اجتماعية:

فساد البيئة:

إذا كانت البيئة التي تعمل فيها المرأة الداعية فاسدة، سواء كانت هذه البيئة: مدرسة، أو مؤسسة، أو مستشفى، أو معهدًا فإن ذلك يؤثر على المرأة تأثيرًا شديدًا، ويضغط عليها ضغطًا كبيرًا، فالمستشفيات ، وما فيها من مضايقات بعض الأطباء والمراجعين والممرضين، والجامعات وما فيها من اختلاط، وحفلات مختلطة، ورجال يدرسون البنات مباشرة بدون حجاب، وليس عن طريق الدائرة التليفزيونية المغلقة.
وقد أثيرت قبل أيام قضية في "الكويت" تكلمت عنها الصحف بشكل مزعج للغاية، بعض الدكاترة في كلية الطب هناك يمنعون الطالبات المنقبات من دخول الفصول، يا سبحان الله! لماذا تمنعونهن من دخول الفصول؟ قالوا: إذا كانت الفتاة منقبة، معنى ذلك أن المريض قد يخاف، ولا يساعد ذلك على العلاج! حجج مضحكة.إلى هذا الحد بلغت عنايتهم بالمرضى؟
آخر يقول : أنا أقرأ التعبيرات والتأثرات على وجوه الطلبة، ومن خلال رؤيتي لوجه الطالب، أعرف أن هذا الطالب فهم أو لم يفهم، فكيف أقرأ هذا في وجه الطالبة وهي منقبة؟ حيلٌ أوهى من بيت العنكبوت، وأتفه من عقولهم التي زينت لهم أن هناك من يصدقهم، هذا الكلام السخيف الذي لا ينطلي على أحد يكتب في الصحف ويقال، وإذا كان ذلك قد حدث في جامعة الكويت، فمن يدري: على من يكون الدور غدًا؟
فالواجب على أصحاب الغيرة أن يتحركوا الآن في هذه القضية، وفي غيرها، ويكون لهم مساهمة، وأقل ما نستطيع أن نفعله هو مخاطبة المسؤولين وولاة الأمر، ومكاتبتهم.

حلول مقترحة:

١- مواصلة العلماء، وطلاب العلم، والدعاة الغيورين بكل ما يحدث داخل تلك المجتمعات، وإنها ليست أسرارًا ولا خفايا، كيف وهي تنشر في بعض الصحف العالمية، فإذا تحدثت طالبة- مثلاً- أو راسلت أحد الدعاة، حُقق معها، بحجة أنها نشرت أسرار الجامعة، أو نشرت أسرار المستشفى، كيف يحدث هذا؟
إننا يجب أن نطمئن جميعًا إلى الجو الذي تتعلم فيه أخواتنا، وتتعلم فيه بناتنا، ومن حقنا جميعًا أن نعرف كيف تعالج نساؤنا، وفي أي جو يعشن، ومن واجب المطلع على أحوال مجتمع ما، أن يساهم في التعريف وفي التصحيح.

٢- النزول للميدان مهما كانت التضحيات، فالهروب من هذه المجالات عبارة عن هدية ثمينة نقدمها بالمجان للعلمانيين والمفسدين في الأرض، وأرى ضرورة خوض هذه الميادين، وتحمل الفتاة ما تلقاه في ذات الله ﷻ إلا إذا خشيت على نفسها الفتنة، ورأت أنها تسير إليها فعلاً؛ لضعف إيمانها، أو قوة الدوافع الغريزية لديها، أو ما شابه ذلك، فحينئذ السلامة لا يعدلها شيء. ويجب أن تظل الدعوة هاجسًا قويًا للأخت مع كل الأطراف، فلا تعين الشيطان على أخواتها الأخريات، فحتى تلك التي يبدو فيها شيء من الجفوة في حقها، أو الصدود عنها، أو سوء الأدب معها، يجب أن تتحمل منها، وتتلطف معها، وتضع في الاعتبار أنها من الممكن أن تهتدي، والله تعالى على كل شيء قدير: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص:٥٦].

٣- يجب على الدعاة والتجار والمخلصين أن يسعوا جاهدين إلى إقامة مؤسسات إسلامية أصيلة نظيفة، مستقلة.
لم يعد مستحيلاً إنشاء مستشفى نسائي خاص، ولم يعد مستحيلاً إقامة أسواق نسائية خاصة؛ بل هي موجودة بالفعل، ويجب أن تطوّر وتوسع، ولم يعد مستحيلاً إقامة مدارس نسائية خاصة، وليس من المستحيل إقامة جامعات خاصة بالنساء، في هذا البلد، وفي كل بلد.
وأعتقد أن الظروف الاقتصادية، والظروف العلمية، والظروف الإسلامية مواتية الآن لمثل هذه الأعمال، فقد طال تململ الناس من تلك الأوضاع الفاسدة في عدد من المؤسسات الصحية، والتعليمية، والإدارية، دون أن يطرأ عليها أي تغيير، ولم يجعلنا الله بمنه وكرمه بدار هوان ولا مضيعة، وهاهي أمم الكفر الآن قد سبقت في هذا المضمار.
وقد رأيت بعيني جامعات تضم ألوف الطالبات في قلب أمريكا، ليس فيها طالب واحد على الإطلاق، مع أن دينهم ليس هو الذي أملى عليهم ذلك، ولكنهم رأوا في ذلك مصلحة ما.

ثالثًا: عدم التجاوب من الأخريات:

من العقبات التي تواجهها المجتمعات الدعوية النسائية، عدم التجاوب من الأخريات من النساء، ورفض بعضهن للدعوة. فبدءًا أقول: هذه الأمة أمة مجربة، فلست أنت أول من دعا؛ وإنما دعا قبلك كثيرون وكثيرات، وكان التجاوب كثيرًا وكبيرًا، والكفار الآن يدخلون في دين الله أفواجًا، فمن باب أولى أن يستجيب المسلمون لله وللرسول إذا دعوا إلى ما يحييهم.

فأما أسباب عدم التجاوب فتنقسم إلى:

أ- أسباب ترجع إلى المدعوة نفسها :

وذلك كأن تكون شديدة الانحراف، أو طال مكثها في الشر، وأصبح خروجها منه ليس بالأمر السهل، وأصبحت جذورها ضاربة في تربة الفساد، أو صعوبة طبعها، وعدم ليونتها، ووجود شيء من العناد، وقد يكون ذلك راجعًا لوجود قرينات سوء يدعينها إلى الشر. وهذا كله يمكن أن يعالج بالصبر وطول النَّفَس، والأناة، وتكثيف الجهود، وربط هذه الفتاة ببيئة إسلامية جديدة تكون بديلاًَ عن البيئة الفاسدة التي تعيش فيها.

ب- أسباب ترجع إلى الداعية نفسها:

عدم استخدامها الأسلوب المناسب الذي يتسلل إلى قلب المدعوّة ويؤثر فيها، وقد يعود ذلك إلى غلظتها وقسوتها، أو شدة تركيزها على أخطاء الآخرين، أو شعور الأخريات بأن الداعية تمارس نوعًا من الأستاذية أو التسلط، مما يحرضهن على مخالفتها ومعاندتها؛ لأنهن يرين عملها هذا مسّاً للكرامة، أو جرحًا للكبرياء، والشيطان حاضر، فيؤجج في الفتاة مشاعر الكبرياء والعزة، فترفض الدعوة ولا تقبلها.

أما علاج هذه العقبة، فيمكن حصره في الأمور التالية:

أولاً: أن تحرص الفتاة الداعية على استخدام أسلوب الالتماس، والعرض، والتلميح، دون المواجهة والضرب في الوجه، كلما أمكن ذلك، وألا تُشعر الأخريات باستعلائها عليهن، أو أنها فوقهن، ولا تشعرهن بالأستاذية، أو التسلط عليهن.

ثانيًا: العناية بشخصية المرأة: عقيدة، وثقافة، وسلوكًا، ومظهرًا، ومخبرًا، دون إهمال الأمور المعنوية المهمة والأساسية، بسبب الاشتغال بالقضايا المظهرية فحسب.
ومع الأسف، إن تسعين بالمائة من الأسئلة التي تصلني، لا تكاد تتجاوز شعر الرأس إلى أكمام اليدين، أو حذاء القدمين.
أين عقيدة المرأة؟ أين أخلاقها؟ أين معرفتها بعباداتها؟ أين معرفتها بالصلاة، بالصيام، بالحج؟ أين معرفتها بحقوق الآخرين؟ أين.. أين..؟
كل هذه الأمور لا تكاد تجد عنها سؤالاً، إنما تجد الأسئلة محصورة في موضوعات محددة جدًّا، وقد قلت ذلك من خلال استقراء لعدد كبير من الأسئلة التي وصلتني.
نحن لا نهوّن من أمر شيء من الدين، فالدين كله مهم، ولما قيل للإمام مالك في مسألة: "هذا أمر صغير"، قال: "ليس في الدين شيء صغير"، والله تعالى يقول:﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ٥].
فالدين كله كذلك، لكن أيضًا رحم الله امرءًا وضع الشيء في موضعه، وهذا من الحكمة، فمثلاً: لماذا تهوّن من أمور القلب، وقد قال فيه المصطفى ﷺ :[ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله] ؟ فلماذا لا نعتني بالقلب وصلاحِه؛ إصلاحًا للظاهر أيضًا؟

ثالثًا: عدم تتبع الزلات والعثرات، فما من إنسان إلا وعليه مآخذ وله زلات، وليس من الأسلوب التربوي التركيز على ملاحظة الزلات، فقد كان رسول الله ﷺ يثني أحيانًا، ويمدح الإنسان بخصال الخير الموجودة فيه، فيثني على الإنسان بخصال الخير الموجودة فيه؛ حتى ينمو هذا الخير ويكبر، وحتى يقتدي به الآخرون في ذلك، وليس من شرط ذلك مدح الإنسان بشخصه فقط، ولكن مدح الفئة، أو الأمة، أو الطائفة بالخير الموجود فيهم، يدعوهم ذلك إلى مزيد من الخير، وإلى التغلب على خصال النقص الموجودة لديهم.
ولا يمنع هذا أن يُلاحظ على الفتاة أحيانًا شيء من النقص، فتُنصح به في رسالة، أو حديث أخوي مباشر، أو مكالمة هاتفية أو غير ذلك، لكن لا يكون هذا هو الأصل؛ بل يكون أمرًا طارئًا، حدث لوجود غلط معين.

رابعًا: عدم محاصرة المرأة المخطئة أو المقصرة، أو المسارَعة في اتهامها، فنحن لم نؤمر أن ننقب عن قلوب الناس، ولا أن نشق عن قلوبهم، ومالنا إلا الظاهر، ولسنا مغفلين بكل تأكيد، لكننا لا نطلق لخيالنا العنان في تصور فساد مستور، أمره إلى الله تعالى، إن شاء عذَّب، وإن شاء غفر، والله تعالى يقول: [رحمتي سبقت غضبي]، فأحيانًا يتصور الإنسان فسادًا، أو يغلب على ظنه أنه واقع، لكن ليس هناك داعٍ للبحث عن حقيقته مادام أمره مستورًا، ليس عندك أدلة عليه، ولم يظهر لك، فدع أمر الناس للناس، فالأمور المستورة دعها إلى الله، فما ظهر منها شيء أخذناه به أما المستور فأمره إلى الله تعالى، وقد يتبين لك فيما بعد أن ما كنت تظنه، لم يكن صحيحًا، وأن الأمر كان بخلاف ذلك.
وبين اليقظة وسوء الظن خيط رفيع، فبعض الناس عنده تغفيل، والتغفيل مذموم، قد يرى الفساد فيتجاهله ويتغافل عنه؛ فينبغي أن يكون الإنسان يقظًا واعيًا مدركًا، وفي نفس الوقت ألا يسيء الظن بالآخرين.

الخاتمة :

وفي نهاية هذا المطاف، أرجو أن أكون وفقت في تقديم بعض الحلول للأخوات المؤمنات، وإذا كان ثمة نقص أو إعواز؛ فإنني ألوم الأخوات الواعيات الداعيات قبل أن ألوم نفسي، فما هذه الكلمات والدروس إلا رجع الصدى لكلماتهن، ورسائلهن، واقتراحاتهن.
فهل تشحّين على نفسك بالأجر من الله، والدعاء من عباده؛ إذ تتخلفين عن المشاركة، وتؤجلين، وتسوفين؟
هذا وإنني لأدعو لكل أخت مسلمة أو أخ مسلم شارك في تجويد هذه الدروس، أو تجديدها، أو تطويرها، وإنني أعلن لجمهور القارئات والقراء أنني أقتات من مراسلاتهم، و مهاتفاتهم ، سواء كانت طرحًا لموضوعات، أو اقتراحًا، أو نقاشًا، أو نقدًا، أو نصيحة، أو أي شيء.
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.